الفصل الثانى

نشأة المذهب الاباضى

١ ـ بذور الفكر الاباضى :

ان نشأة الفكر الاباضى ، يعود بالدرجة الأولى الى العامل الدينى والسياسى الذى تمثل فى مبايعة عبد الله بن وهب الراسبى (١) ، من طرف بعض الصحابة والتابعين الذين أنكروا التحكيم على كرم الله وجهه ، وفيهم من أهل بدر ومن شهد له رسول الله ﷺ بالجنة كحرقوص بن زهير السعدى (٢) وفروة بن نوفل وسارية بن لجام السعدى ، وكانت هذه النشأة فى شوال سنة ٣٧ هـ ، وقد رفع أصحاب عبد الله بن وهب الراسبى الشعار التالى : قبلت الدنية ولا حكم الا لله ـ وهكذا نرى أن الذين كانوا مع على من صفين متوادعين فروا عليه ، وعرفوا لذلك باسم الخوارج

---

(١) ر : (ف ـ أ) .

(٢) ر : (ف ـ أ) .

أو الشراة (٣) عند المؤرخين عامة ، فلابد أن نوضح ، أن انشىء الوحيد الذى يربط الاباضية بالخوارج هو رفضهم المشترك للتحكيم ، والدعوة الى امامة المسلمين عن طريق حرية الاختيار والكفاءة الشرعية لهذا المنصب بين المسلمين جميعا ، فسوف نقوم بتحليل شامل لهذه الفكرة فى باب الامامة . أما أعلامهم من عبد الله بن اباض الى آخرهم فهم يرفضون أن يسموا خوارج ، فسوف نقدم عدة نصوص تنفى عنهم هذه الدلالة الشائعة الهادفة الى أغراض دينية وسياسية محضة ، كما تدل على ذلك كتب التاريخ وعلم الكلام .

٢ ـ ظهور المذهب الاباضى :

ظهر المذهب الاباضى ، فى القرن الأول الهجرى فى البصرة . فهو من أقدم المذاهب الاسلامية على الاطلاق . والتسمية كما هو مشهور عند المذهب ، جاءت من طرف الامويين ونسبوه الى عبد الله بن اباض وهو تابعى عاصر معاوية وتوفى فى أواخر أيام عبد الملك بن مروان ، وعلة

---

(٣) وسموا شراة لأنهم باعوا أنفسهم من الله بالجنة لقول الله تعالى : « **ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة** » (التوبة : ١١١) .

التسمية تعود انى المواقف الكلامية والجدالية والسياسية التى اشتهر بها عبد الله بن اباض فى تلك الفترة .

٣ ـ شخصية جابر بن زيد (٤) :

يرجع المذهب الاباضى فى نشاته وتاسيسه الى جابر ابن زيد الذى ارسى قواعده الفقهية واصوله . فهو امام متحدث فقيه ، وتبحر بعمق فى الفقه ، وامضى بقية حياته بين البصرة والمدينة بشكل جعله على صلة بأكبر فقهاء المسلمين حينذاك . وقد روى عن ابن عباس قال للناس : اسالوا جابر بن زيد فلو ساله المشرق والمغرب لوسعهم علمه . وقد أصبح أعظم فقيه فى البصرة وله أتباع عديدون كعبد الله ابن اباض ومرداس بن حيدر وأبى عبيدة مسلم ابن ابى كريمة .

٤ ـ ابو عبيدة مسلم بن أبى كريمة (٥) :

ولقد اكتملت صورة المذهب الاباضى على يد أبى عبيدة مسلم بن أبى كريمة ، المتوفى فى خلافة أبى جعفر المنصور واليه انتهت رئاسة الاباضية بعد موت جابر بن زيد .

---

(٤) راجع الدرجينى : طبقات ص ٢٠٥ ـ ٢٠٧ ولد سنة ٢١ هـ وتوفى سنة ٩٣ هـ بالبصرة .

(٥) راجع الدرجينى : طبقات ص ٢٣٨ ـ ٢٤٤ . ولقد توفى فى خلافة أبى جعفر المنصور .

وباشارته أسس الاباضية فى كل من المغرب وحضرموت دولا مستقلة وتخرج على يديه رجال الفكر والدين من مختلف الدول الاسلامية آنذاك عرفوا بحملة العلم . ولقد أفلح عبد الرحمن بن رستم فى تأسيس الدولة الاباضية بـ « تهارت » فهو تلميذ من تلاميذ أبى عبيدة وأحد حملة العلم .

٥ ـ الدولة الجزائرية الاسلامية الأولى والمذهب الاباضى :

لقد ظهرت الدولة الجزائرية الاسلامية الأولى مستقلة عن الدولة العباسية بيد عبد الرحمن بن رستم (٦) واستمرت قرابة مائة وخمسين سنة (١٤٤ ـ ٢٩٦ هـ) (٧) .

وكانت مقيدة بالكتاب والسنة وأثر السلف الصالح وتركت حرية الاعتقاد والرأى وازدهرت فى زمنها حركة علمية عظيمة ، غير أن هذه الحرية الاعتقادية ، استغلها الخصم فعجلت بسقوط الدولة الاباضية فى تهارت . والمذهب الاباضى لا تزال دعائمه راسخة فى جنوب الجزائر ـ وادى ميزاب ـ وجنوب تونس ، وشمال ليبيا ـ جبل نفوسة ـ وعمان ، وهذا المذهب يعد من أقدم المذاهب الاسلامية نظرا أن امامه الأول جابر بن زيد قد توفى سنة ٩٣ هـ . أما

---

(٦) ر : (ف ـ أ) .
(٧) راجع تاريخ الجزائر ، ص ٥٨ ـ ٧٥ للميلى .

المذاهب الأخرى فلم تظهر مدارسها الا بعد القرن الثانى الهجرى ٠

٦ ـ شخصية عبد الله بن اباض (٨) :

هو عبد الله بن اباض التميمى ولد فى زمن معاوية (٤٠ ـ ٦٠ هـ) وتوفى فى آخر حياة عبد الملك بن مروان ٠ ويعد من أتباع جابر بن زيد الذى توفى سنة ٩٣ هـ ٠ وقد اهتم بالجوانب السياسية والكلامية والعسكرية والتنظيم والتخطيط لتكوين دولة اسلامية معتمدة على الكتاب والسنة وسيرة الخلفاء الراشدين ، وفى داره كانت تعقد هذه الحلقات من طرف تلاميذ جابر بن زيد وأنصارهم وقد جاء فى الطبقات ما يلى : « كان عبد الله بن اباض امام أهل الطريق وجامع الكلمة لما وقع التفريق ، فهو العمدة فى الاعتقادات ، والمبين لطرق الاستدلالات والاعتمادات والمؤسس لأبنية هى مستندات الأسلاف والمهدم لما اعتمده أهل الخلاف » ص ٢١٤ ٠

وقد اشتهر بالرسالة التى أرسلها الى عبد الملك بن مروان الأموى (٦٥ ـ ٨٦ هـ) يبين فيها آراءه وعقائده بكل وضوح ، ورأيت من الضرورى أن أقدم صلب الرسالة فقط نظرا لطولها ، فهى كما يلى :

---

(٨) الدرجينى : الطبقات ، الجزء الثانى ، ص ٢١٤ ٠

٧ ـ رسالة عبد الله بن اباض الى عبد الملك بن مروان (٩) :

أما بعد : وكتبت الى تحذرنى الغلو فى الدين وانى أعوذ بالله من الغلو فى الدين ، وسأبين لك ما الغلو فى الدين اذا جهلته فانه ما كان يقال على الله غير الحق ، ويعمل بغير كتابه الذى بين لنا ، وسنة نبيه التى سن وقال الله تعالى : « **يا أهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق** » (النساء : ١٧١) .

كما فعل عثمان والأئمة من بعده وأنت على طاعتهم وتجامعهم على معصية الله وتتبعهم وقد اتبعوا أهواءهم واتبعتهم أنت عليها وقال الله عز وجل : « **ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل** » (المائدة : ٧٧) . فهؤلاء أهل الغلو فى الدين .

ثم يقول عبد الله بن اباض : انا نبرأ الى الله من ابن الأزرق (١٠) وأتباعه من الناس لقد كانوا على الاسلام فيما ظهر لنا حين خرجوا ، ولكنهم ارتدوا عنه وكفروا بعد اسلامهم فنبرأ الى الله منهم .

---

(٩) ابن حميد الحارثى : العقود الفضية فى أصول الاباضية ص : ١٣٤ ـ ١٣٧ .

(١٠) زعيم من زعماء الخوارج يرى أن مرتكب الكبيرة كافر كفر شرك .

فانك كتبت الى أن أكتب بجواب كتابك وأجتهد لك فيه النصيحة . وكان حقا على أن انصح لك لما قـــد علمت أن الله يقول : « **ان الذين يكتمون ما انزلنا من البينات والهـدى من بعد ما بيناه للناس فى الكتـــاب أولئـك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون** » (البقرة : ١٥٩) .

أدعوكم الى كتاب الله وسنة نبيه ﷺ ولتحلوا حـــلاله ولتحرموا حرامه ولترضوا بحكمه .

* * *

● **تحليـل مضـمون الرسـالة :**

ان الأفكار التى نستنتجها من هذه الرسالة تتضمن ما يلى :

١ ــ ان عبد الله بن اباض قد فند رأى عبد الملك بن مروان حول دلالة الغلو . وبين حرصه القوى عـلى سـلامة الاسلام الذى سلكه رسول الله ﷺ وخلفاؤه الراشدين ، وبين أن المسلم المؤمن هو المطبق لكتـاب الله وسـنة رسـول الله . لا افـراط ولا تفريط ــ لا افـراط كما غلا ابن الأزرق وجماعته ، ولا تفريط فى حق كتاب الله كما فعل بنو أمية الذين جرفتهم مفاتن الدنيا ، وتركوا حكم الله وفارقوه فقال : فاتق الله يا عبد الملك ولا تخادع نفسك فى بنى أمية وسيرتهم .

٢ ــ فقام بتقييم مـسيرة عثمـان رضى الله عنه وبنى أمية

فأكد أن فى آخر خلافة عثمان . وقد وقع تبديل وتغيير فى نظام الحكم الاسلامى ، وقـــد اعترض حتى الصحابة عـــلى سياسة عثمان لاشطاطه فى تبديل الولاة واغداق الأموال على اقربائه .

٣ ـ ثم يقول : قد سلكت طريق الضلال الذى سلكه بنو أمية من قبلك واتبعت هواك وهواهم ، فدعم هذه الفكرة بالدليل العقلى والنقلى لقول الله عز وجـل : « **ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضـلوا عن سـواء السبيل** » (المائدة : ٧٧) .

٤ ـ أما زعيـم الخوارج ـ أى ابن الأزرق (١١) فنحن نتبرأ منه لغلوه وتشدده وافراطه فى الأحكام ، حين حكم فى المسلمين المذنبين بالكفر . وهذه الفكرة التى تزعمهـا نافع ابن الأزرق تتنافى مع مبادىء الاسلام . حين حكموا على كل مسلم مذنب بكفر الشرك .

٥ ـ فهكذا نجد زعيم الاباضية يتبرأ صراحة من هؤلاء الخوارج أى الأزارقة . وكيف يعقل للباحثين قديما وحديثا أن ينسبوا الاباضية الى فئة الخوارج الذين أخطأوا فحكموا على مرتكب الكبيرة بالشرك الأكبـــر واستحلوا دمـــاء المسلمين

---

(١١) ر : (ف ـ ف) .

وأموالهم . أما الاباضية فتحكم على مرتكب الكبيرة (١٢) بكفر النفاق والنعمة (١٣) .

ولا تستحل دماء المسلمين وأموالهم ولا تخرجهم من ملة الاسلام مطلقا .

٦ ـ الخاتمة : وفى الختام قال : أجتهد لك فى النصيحة لأن الدين نصيحة . عليك أن تكون امام هدى فهو يحكم بما أنزل الله . فمن لم ينفعه كتاب الله لم ينفعه غيره . فان هذه الرسالة وقد انطلقت من الوازع الدينى ، وهذا الوازع انبثق من عقيدة صلبة تجعل الحكم خالصا لله وحده ، ومنبثقا من كتاب الله وسنة رسول الله ، وتجعل هذا الحكم ثابتا لا يتغير بتغير الأحوال والملابسات السياسية .

* * *

(١٢) ر : (ف ـ م) .
(١٣) ر : (ف ـ م) .